

انت تمتلكين الثغر السكري وتثمرين الياسمين
وانا جسد متضرم وعيون دامعة
انك تخافين من المجي الى احضانني
كي لا تذوبي مثلما يذوب السكر .

* * *

ويلتأه من اليوم الذي اواجه فيه القبر
ويهيلون علي الأتربة والصخور والأحجار
فلا قدماي بامكانهما اتقاء الانعاسي
ولا بمقدور يدي مصارعة الحشرات ..

* * *

تمتلئ الافلاك السبعة من أهاتي شرراً
وحين اصرخ تتدفقُ الدماء من كبدي
وانت ما دام قلبك لم يعرف طعم التضرم
فأنك لا تعرفين عن الملهبة قلوبهم شيئاً .

* * *

كافراً انا ان زرعت الشقائق ثانية
وملعون انا ان سقيتها ذات يوم ماء
كذلك اكون مشركاً ان ورد اسمها على لساني
لان لي من الشقائق مائتي كويّة في القلب

* * *

جاء الربيع للصحارى والسهول والجبال
ولقد كان الشباب ربيعاً ومضى
وحين تتراءى الحسنات في النزهة
تنبت الاوراد على قبور الشباب

* * *

اذا ما وصلت يدي الى الافلاك
لسألت : كيف هذا وكيف ذاك ؟
لقد اعطيت واحداً آلاف النعم
واعطيت الآخر رغيف شعير مدمى

* * *

الليل حالك والذئاب تفتك بالشاه
هيا اسدلي جداولك واقتربي مني
وامنحيني قبلة من شفتيك النديتين
قائله : لقد منحت هذا الدرويش قبلة
في سبيل الله .



قصة : للقاصدة الكردية / احلام منصور
من مجموعة / الجسر - وزارة الثقافة والاعلام - دار
الثقافة الكردية

ترجمة : عباس عسكر - كركوك .

اهدت الكتبة هذه القصة الى ابنيها ...



زقزقة العصافير التي تريض على الاسلاك وانغام الطبل
والمزمار ، كانت تمتزج في صمت الازقة المحاطة بحارتنا ، فتبدد
ذلك الصمت فيها . من شدة تراصف تلك العصافير ، كانت
الاسلاك تكون انحناء نحو الداخل ، بين فترة وأخرى ، بعض
منها يطير تلافياً لضيق المكان ، دون خوف من اي طفل لكونه لا
يحمل - مصياده - وكان الاطفال ، يمارسون هز اكتافهم على
انغام الطبل والمزمار ، ومنهم من يلوح بأذيال اردانه في
المعرس .^١

أمي الحت علي لان ارتدى اسمالي الجديدة ؟ بعد التخلي
عن القديمة ، لم اقتنع ، كان صوتاً خفياً ، يحفزني على ان -
مهليحة - في هذا اليوم سترحل ولا اراها بعد ذلك ، ... كانت
الانغام تحدث اصداً في الياف دماغي ، فاغدوكم في سوق
الصفارين ، إن شعيرات مخي تتشبث بالآلاف من عصافير
الحزن ، تتوغل في اعماقي المذهلة تسكنني .

كنت أمعن في المعرس المليء بالضجيج ، بين فترة وأخرى ،
كان صوت - الشاباش - يقضي على انغام الطبل والمزمار . بينما
الناس في رقصتهم (سي جويي)^٢ ..

الشمس كانت رويداً رويداً ، تغادر نحو الافول ، على حين
غفلة دوى صوت رصاصة ، ابتلع كل الاصوات ، وبأقل من
ساعة واحدة ، اطبق سكوت مخيف على ملامح الناس ، ثم عم
الزعيق بين النساء ، .. بعدما خرت العروس ، على الارض ،
فصفت العصافير بالاجنحة طائره .

خرجت امي .. رفستني ، وهي تصيح في وجهي :
- قومي من هنا ، يا (أكلة الرؤوس)^٣ . كان قلبك دليلك .. ثم
غدت تردد مع نفسها .. (لم تقبل بتغيير ملابسها .. كأنها تعرف
بمصرع - مهليحة - ..

«فدح عباس» وحادثه لا تنسى

السياج الى اي شئ ، .. كانت الثقوب الصغيرة في الجدار تضاهي قامتي .. نعم كنت اقوم بالعملية كي لا تنتبه امي الى خطوات - عباس - عندما يقفز الى سطحنا ، .. اكثر من سنة : امي اعادت هذه - الاسطوانة - «الف مرة سحبت هذه الصفيحة من هنا، فلذا كنت اضطر الى رص طابوقات تحت السياج .. كنت اعرف ولا اعرف ، لماذا - عباس ومهليحه - يدعوانني لهذا العمل .. هكذا جعلنا سطحنا إذاعة ووزارة مواصلات .. مليون خط بريد ورسالة وقبلة ، وتأوهات وخوف ، .. كانت تمر من فوق رأسي .. إما اغضض جفوني او مثل ساع للبريد ، انشغل في ايصال الاخبار بينهما ، .. فكان وقت استراحتي ينحصر في فترة الاذان والصلاة .

ولما لم ار - عباس - رجعت ، وما اهتمت بمقتلها قدر اهتمامي ، كيف اعثر عليه ، لاقول له الخير ، وكان آخر مجهود اقوم به ، احاط الناس ولا سيما الاطفال بجثة - مهليحه - .. النساء يندبن والرجال الذين كانوا يرقصون ويفنون قبل دقائق ، اصابهم التشتت والاضطراب ، فباتوا لا يفعلون شيئاً ، يدور البعض حول البعض ، ولا يفهمون الكلام المتقطع الدائري بينهم . وانا أسأل عن - عباس - لم يعرني احد اذنه ، وصياح أمها ، كان يهز المكان .

بطريقة ما وجدت دربياً ، كي اراها لآخر مرة ، واعتقدت اني ارى - عباس - هناك ، .. مهليحه - ممددة والرصاصه تستقر بين نهديها ، دماء صدرها مثل شلال تنزل ملطخة ثوبها الابيض ، عيناها مفلقتان !فمها مطبق .. «كانت الجثة الوحيدة التي اراها في سني» .. كثيراً ما كان أبي وامى يتكلمان عن الموت ، ولكن ابدأ ما كان يشبه موتها .. يقولان : (لا تمنعوا الى

دلفت الى الداخل وبسرعة ارتدت جلباباً اسوداً ثم خرجت ، قائلة : اذا اقبل ابوك فلياكل خبزك ويحضر الى منزل خاله - نهعه - عليهم يدفنوها الليله .. لا اعرف .. ربما .. هيا قومي للداخل (اكسري عنقك)» .

اضطربت الحارة ، لم يدخل احد المسجد ، الناس لم يزل مشتتون ، ولم يفكر احد في ايجاد تابوت ولوح غسل . خفية تسللت على اصابع القدمين ، بين الواح الفسيل والتوابيت الى المسجد ، وقد تبدد وجلي منها ، كنت اعرف إن - مهليحه - الآن ترقد في وسط تابوت بدلاً من ثوبها الابيض .. كنت أفتش عن - عباس - كي اخبره ، لم اره . كان بابه موصداً كبقية الابواب كأن الله في ذلك اليوم ، قد اغلق ابواب الرحمه في وجوه الناس ، دون ان التقي به عدت ادراجي .

ملاحظة - 1 -

بيتنا على جهة اليسار كان يناظر منزل - مهليحه - وعلى يمينه المسجد ، فلذا كان سطحنا بمثابة جسر يصل سطحنا ، بسطح المسجد - (هي تحبه وهو يحبها ، كانا على ثقة مني زهاء سبع سنوات ، كثيراً ما يقفز من سطحنا الى سطحها ، ليمتع نظره بها ، طوال خمس سنوات او اكثر كنت اضع تحت سياج السطح صفيحة ، كي يستعين بها .)

كلما نشرت امي الفسيل ، كانت ترفع الصفيحة من مكانها وهي تقول متذمرة «لا ادري .. للمرة الالف وضعت هذه الصفيحة على التنور ، وانبّ ترجعينيها .. لست ادري لماذا تحيين التطلع من السطح» .

لم يعرف احد إنني لم اكن بحاجة الى صفيحة في تطلعي من السطح ، لو وضعت صفيحة فوق لما استطعت التطلع من فوق

الميت .. سوف يزوركم في المنام) .
شياً ، سوى أن للمسجد ، أربعة توابيت وثلاثة الواح لغسل
الاموات ، وسبعة حصران ، و - زوليتين - وخمسة حباب
للماء ، .. ويعرف الفروض الخمسة وكذلك يعرف [الله ..
الفاتحة .. العيد] يجهل من الدنيا الكثير ، له صديق واحد وهو
- مه - قصاب ، لا يملك - راديو - لكنه يملك - لاسلكياً - وهو
انا .

كنت اذهب بالدمى والاراجيح الصغيرة الى سطح البيت
وابعثرها ، هنا وهناك ، وامي تردد قائلة :
- انا اعرف كل طفل يلعب مع الاطفال ، .. لست ادري لماذا
ابنتي هذه المشؤومة ، تعتصم بالسطح .. ؟ كل يوم اجمع هذه
اللعب وانزلها ، وتظل لا تكف عن الهذيان ، وانا اردد اسطوانتي
الوحيد لاسكاتها ، (الم تقولي : تتعلمين - قلة الحياء - في
الخارج .. اذن الى اين اذهب .. ؟ محلقتنا خاليه من الاطفال ..
ايوجد غير - مه - واهه وابوه - ومه ليحه .. ايجوز ان العب مع
- مه - واهه .. ؟ ! .. لكنها تلوذ بالصمت بعدما تقول : (يالها
من سليطة اللسان) .

اثناء العصر ، بحجة رش سطح المسجد ، كان - عباس -
يخبرني بمراده - وانا كالريح اوصل الخبر اليها ، وهي
تستقبلني مثل - الرادار - ثم تحملني الاخبار اليه ، بعد انجاز
هذه الاعمال ، انساق الى امي ، واقول لها :
هل الطعام جاهز .. لقد اذن .. ؟ تملأ صحنين من الطعام
وتضعها في طبق ، وتعطينهما .. وتقول :
- قولي له ان يقرأ الفاتحة ، خمس مرات ،
- ها .. ا ..

كانت تكنب احبانا ، حين تطلب .. فليقرأ الفاتحة ، ثمان
مرات ، من اجل جدي ، وجدك ، وكل اموات - هاشا كوبري -
بين فترة وأخرى ، تزيد :
- ها .. كم مرة قرأ الفاتحة .. ؟ ا

وإذا كان - عباس - عنده كلام - (مه ليحه) يقول :
- قولي لامك قرأ عشرون فاتحه ..
في ظهيرة كل يوم جمعه .. اذهب بالطعام مع مائة فلس .. وكان
على أن أقرأ تقريراً مطولاً ، باسماء امواتنا والذين قرأ عليهم
الفاتحة سابقاً ، وبعضاوية اعدد الاسماء .. كانت لاتحرمني
من البصاق والشم والضرب وتردق قائلة (فلتقطع خصلاتك) يا
- ميم ره عنه - انسييتي .. او نسييتي الحاج - جه مشير - او

النساء كن على علم باواصر الصداقة بيني وبينها فلذا لم
يعترضن طريقي .. ولما لمست اطرافها وملامحها حتى صرخت
امها وهللت قائلة «جئت افراحها .. لماذا تأخرت .. ؟ ! امي
كمن تصدقها . اجابتها اشغلتنى ساعتين كي اغير ثوبها ..
لكنها رفضت ، كأنها كانت على دراية بما حدث .. . لم تعر
اهتماماً لامي ، غدت ترقص بعباءتها .. الارجح .. ام العريس
والنساء بكين وصرخن ، بمرارة ، الى أن اقبل رجال الشرطة
رفعوها ، ثم خططوا المكان ، وغادروا .. كان الحاضرون بلا
جدوى يلحون في ارضاء امها لان تغسل ثم تدفن .

ام العريس كانت تسمى خاله - زه كي يه - وقد ربت
- مه - ابنها الوحيد بدلال ، ايدت ام العريس .. هكذا لم
يتمكنوا اقتناعهما ، بأن ما تفعلانه يخالف تعاليم الاسلام .
ملاحظة 2،

كان - مه - على درجة من الصداقة مع - عباس - حتى
اعتقد اهل - خانقين - بأنهما اخوان ، لم يكن - مه - متديناً ،
عندما يترك عمله يتوجه مباشرة اليه ، فيذرعان الدروب .. كان
قصاباً ، يتعاطى الخمر ، الناس تعجبوا كيف التقى - مه -
قصاب الذي لا يعرف الله و - عباس - المبارك ، الصادق ، كان
- مه - يدري بما يجري بينهما ، فقرر ان يدفع تكاليف العرس
اذا ما تزوجا .

بعد ان تركت الجثة ، بلا امل غدوت الفتش عن - عباس -
كان قصير القامة ، يمتلك لحية وشاربين غير كثيفين ، يميلان الى
الاصفرار .

عيناه جاحظتان مثل طيرين اليفين ، يحطان على ملمحه ،
دائماً يرتدي الملابس الكردية ، يهتم بهندامه ، ينتشي من صوت
- كيوتيه - يقولون يمسحها بالنفط كي يحدث صوتاً اثناء
المشي ، .. كان خجلاً هادئاً ، حتى لقبه البعض ب - (الملاك)
في كل يوم ينظف المسجد وفي المساء ، يأتيه العشاء من
البيت الذي اصابته المنية ، ويستمر ذلك لسنة كاملة ، وفي
الصباح ، يعيد الصحنون بعد غسلها ، كان لا يعرف من الدنيا

عمك العازب المأسوف على شبابه .. هذه الاسماء قد إكتويت
بالعصى من اجلها .. ؟!

كنت اكتب تلك الاسماء في الاسبوع الذي يلي ، على رأس
القائمة ، ولكن لسوء الحظ كنت أنسى اسماً اخرى ، وفي مساء
ما رقد - عباس - مريضاً لمدة اسبوع لم يتمكن ان يغادر مكانه
وصعب عليه الكلام . فلا ينطق سوى : قولي لها الاتحزن سوف
أشفي ... أعطتني أمي منقطة ، له ، كل يوم مع الطعام او فر
فحمأ وأوقد له ناراً ، ولم أعلم كيف تجلب - مهليحه - له
الفحم ، لكنني عرفت المر بعد مده . ؟

بطريقة ما خدعت امها من اجل الذهاب مع امي لزيارة
خالتي لان ابنتها الكبيرة ، اجريت لها عملية جراحية ،
وخدعتني الا اذهب ، مع امي بحجة ان لي دروساً هكذا كلما
تغيب امي كانت تاتينا لتراعييني واخوتي وفي الليلة ، التي ذهبت
امي وامها ، اخبرت - عباس ، فقال :

- إن نزلت من السطح دعي بابه مفتوحاً .

- اذا أتى احد الى المسجد .

- سأرجعها .

- واذا رجعت قبل الوقت .. ؟

- قولي أرسلتها الى الغرفة الصغيرة في السطح لجلب - اللوبيا
والفاصوليا - كي تعلمني الحساب ، .. ثم اقدني حجراً ، الى
باحة المسجد ، فانا احملها على اكتافي كي تقفز وترجع .. عندما
يلتقيان ، لا ادري اية رسائل يتبادلان .. كنت أرهب السمع الى
طرقات الباب ، فاذا ما طرق سمعي صوت خفيف ، اذهب الى
سطح البيت ، واقدف حصاة صوب باحة المسجد .. هكذا
تعودت - مهليحه - كل شهر مرة او مرتين ان تضدع امها
وامي .. وانا اصبح وزارة مواصلات ، او شرطياً ، خفياً لقاء
عملي هذا كانت كل يوم تخطي لدماي صدرية وثوباً جديداً .

في صبيحة ما ، ازحت ستار باب ام - مهليحه - كي
تعطيني الباقلاء ، رايت - عباس - يمضي بسرعة ويحمل كيساً
كبيراً ، ولما رأني ، ناداني قائلاً :

- قولي لها ، سوف لا اتاخر كثيراً ، سيرسل - الملا - طالباً
إياي .. حالياً جاوا بـ (فقيه) آخر .. وضعت صحنني عند
امها ، ورحت وأيقظتها من النوم فاخبرتها ما لدى من علم ،
ثلاث ليالٍ بأيامها لم تذوق طعاماً ، لقد تعلم ، كلما جاء من يحتل
مكانه ، أن يخلق حجة ، ليتشاجر ثم يترك المسجد .. هكذا

تستمر الحالة ، معه لان الناس ، كانوا يحبونه ويعرفون بأن
اعمال المسجد لاتتم الا به ، لذا كان - الملا - يحترق فيراسل
«قوره توره» فيأتي ، .. لذلك أي فقيه اخر لم يفكر يوماً ، من
الايام ان يدخل المسجد ، ما عدا - رشيد - شقيقه وهو الان
عريف انضباط ، وكان في وقته فقيهاً في المسجد . احياناً يتردد
الى المدينة حاملاً مسدسه وفي الليل يمكث عنده ، ويفادره
صباحاً ، الى «قوره توره» ليزور امه الضريره .

الملاحظة 3،

والدة - مهليحه - تمقت - عباس - وتسميه بـ (ذات
العين الشريرة) .. وكان يدري بكراميتها له ، فعدل عن التفكير
لان يرسل الى خطبتها ، إنه يهابها خوف ان يطرد من المسجد ،
بفعله ما تقوم بها .

الملاحظة 4،

ما كان غيري و - مجة - يدري بما يجري بينهما لأنها لا
تقدر ان تقف امام الباب لتكلمه ، ولا هويجراً ان يقف امام باب
المسجد خشية من الناس ، سنتين ونيف كنت شرطياً وساعياً
للبريد وكاتم اسرارها . فجأة في مساء مشؤوم قطع سكن
- مجة - تلك - المصيدة - المباركة ، المحبوبة ، اثر ذهاب امه
الى بيت ام - مهليحه - وهو تقول :

- يا ام - مهليحه - انت تعرفين لقد كبرت - مهليحه - بالامس
قال لي - مجة - يا امي زوجيني ... اريدها .. انا لا افكر في
غيرها ... ماذا تقولين ... ؟

- لي ابنة وحيدة ، ومازالت فتية ..

- اي .. ولكن الى متى ببيع الباقلاء تربينها .. ؟

ابنتك ، كبرت ... زوجيها .. لتذهب الى بيتها وحالها ،
وانت الى متى تبيعين الباقلاء .. ؟ ! اليوم او غداً ، سوف تفرغ
غرفتان احدهما لك والاخرى لهما ، .. سنرسل ام - شيرين -
الى السوق ، وانا عندي قطعة ذهبية ، اهديتها لها ، ولك مائتا
دينار .

خدعت ام - مهليحه - بالمبلغ والهدايا ، قالت لابنتها :

- يا ابنتي إن - مجة - ارسل امه لخطبتك ، وانت وحيدتي ،
لا أحب ان تتعدي ، عني ، .. فوعدتهم .. غداً ، امه وأم
- شيرين - تشتريان لك الحاجيات و - النيشان - فيخطبوتك ..
ماذا تقولين .. ؟!

راوغتها ، فدخلت بيتنا وقالت لي :

- قولي له إن أمي أعطتني الى - مجة - إنني على استعداد لأن ارحل معه الى اي مكان يريدته ليس الى - قوره توو - بل الى آخر الدنيا .. وهناك يتزوجني ، مثل - التلكس - طرت بالخبر اليه فقال لي :

- قولي لها أن ترفض الآن ، .. لأن رمضان على الابواب ، في العيد انا ذاهب الى - قوره توو - .

بعد يومين امي وامي واميها ذهبن الى السوق لشراء (القطن ، الجرسه ، الكتان ، الكودري ، احذية اسكاربيل ،^٣ الحمرة ، الورد ، الحناء ، المشط) .. وذهبن بالخلاله ، - هيبهت - الدلاله ، الى الصائغ جبار الله فاخترن لها (التراحي - الحجل - الخاتم) .. باقساط شهرية ، ومن ذلك اليوم لم ينقطع صوت ، محلجة «نهحه كنه لي هه لاج»^٣ من الصباح حتى المساء ، .. وقد فرح قلب - الملا - لأنه كان يعرف إن - مجة - القصاب ، الكريم لا يحرمه أثناء مراسيم الخطوبة ، لم يعر - عباس - كما هو .. في احدى الامسيات بواسطتي ، إنقيا ، لم أسترق السمع من ذي قبل اليهما ولكن هذه المرة ، لم يبتعدا عني ، ولم يقولوا .. إذهبي أنت .. سمعت - مهليحه - تقول : عباس .. عباس ..

- الله اكبر من - مجة - وام - مجة -
- ما الحيله .. ؟

- أصمدي ، وقولي ، لا اريد الزواج .

بعد إنصرام هذه الايام مرة غابت امي ، نصف ساعة ثم رجعت ، وفي التو ، كمن تكلم اناساً ، :

- هذا اليوم إقتنينا لها ستة اثواب ، بعد الان عليها الاتلبس تلك العباة المرقعة ، لقد إشترينا لها الثوب - العلموده - والحذاء - الكعب العالي - في المساء مثل بقية الامسيات ، اخذت الطعام له ولم أجد هناك ، سوى إمام الجامع فقال لي :

- عباس ترك خبيراً مفاده ، إن امه إستجابت لامر الله فسافر الى - قوره توو -

لست ادري لماذا لم اصدق كلام - الملا - سألت نفسي ، بعد يوم أو يومين ، سيرفونها .. كيف يغيب لمدة اسبوع .. ؟ !

كنت متربعة ، امام الباب ، وامي تلح أن اغير ملابسني ، وانا لم يهزني صوت الطبل والهلال ، والشاباش ، الخاله - هيبهت - الدلاله ، كانت تمسك بـ (مرآة) وهي تتقدم «العروسان» .. وكان - مجة - قصاب بملابسه الجديدة ، يضع «عرقجينا» على رأسه

وعلى كتفه منزراً ، يده في يد - مهليحه - وهي صامته ، والجميع الهويانا يذرعون الدرب صوب بيت - مجة - بينما النساء يهللن ويرقصن ، إنطلقت قذيفه ، فخرت - مهليحه - على الارض ، وامتلا المكان بصياح النساء ، .. بعد عشر دقائق جاء صوت من السطح صائحاً :

- أنا (فهقى عه باس)^٣ لم يكن قصدي ، قتل - مهليحه - بل كان قصدي ، - مجة - .. ابن الكلب .. العديم الشرف ولكن ماذا أفعل .. ؟ !

تعجب الناس .. نزل من السطح والمسدس في يده تفرق المجتمعون ، من رهبة المسدس .. اما - مجة - فلا يدري احد أين إختفى إلا الله .

وصل - عه باس - الى المكان الملطخ بالدماء ، وقف رافعاً نظره الى السماء ، ووضع سلاحه على رأسه فهوى على الارض ، للمرة الثانية ، عم الزعيق بين النساء .. فحدث ما لم يكن ، في الحسينان ... لم يدرك احد من أين وثب - مجة - نادياً ضارباً على قفاه .. فارتدى على الجذث ، باكياً ،

أي .. مجة .. ابن الكلب .. العديم الشرف .. أي .. أي .. بلا .. شرف .. ب .. لا .. شرف .

الهوامش

- 1 - المعرس . موضع او مكان يعرس فيه اللوم .
- 2 - رقصة شعبية تعمرس في الاعياد والمناسبات الوطنية
- 3 - هذه العبارة (سهره خور) ترجمتها بـ (اكله الرؤوس) حرفياً ولكنها تعني (المشوؤم) وتطلق الام هذه العبارة على اولادها ، حالما يقوم احدهم بعمل لايرضيها .
- 4 - ملت بشكينه : ترجمتها بـ (اكسري عنلك) ولكنها تعني (اذهبي دون رجعة) .
- 5 - تعني مصطفى .
- 6 - باشكوكوبرى : وتعني (جسر الهاشنا) معبر يقع على نهر صغير في قضاء خانقين ، يقال إن (الهاشنا) العثماني كان يعبر من هناك الى حمامه الخاص ، والمنطقة تسمى اليوم باسم المعبر .
- 7 - ميم ره عنه : ميم . تعني الخاله . و (ره عنه) اسم امرأة
- 8 - قوره توو = قضاء من القضية محافظة ديالى .
- 9 - احذية نسائية ذات قعوب عالية ، يومها كانت النساء تعشقها .
- 10 - تعني : احمد الحلاج الحاسر الرأس .
- 11 - كلمة (فهقى) تعني الفقيه . وقديماً كان يقال لطالب العلم في المسجد بـ (الفقيه) .